الفصل الثالث
أنماط الأسرة التقليدية

تتكون الأسرة بمفهومها في الفصل الأول من نمطين أو شكلين أساسيين هما: الأسرة النواة والأسرة الممتدة . وهما نمطان لا ثالث لهما لاسيما في المجتمعات الإسلامية وهما يستوعبان أنماط أو أشكال الأسر التقليدية جميعها في الماضي والحاضر والمستقبل. وقد تتحول الأسرة من نواة إلى ممتدة، أو تتحول من ممتدة إلى نواة وفق ما يطرأ عليها من تغيرات في البناء .

وسوف نتناول في هذا الفصل الأسرة النواة وبناءها وأشكالها الفرعية، والفرق بين الأسرة النواة المسلمة والأسرة النواة غير المسلمة ، ثم نعرض للأسرة الممتدة وبنائها وخصائصها وأشكالها الفرعية ، وأخيرًا نناقش الأسرة الزواجية والفلسفة التي تقوم عليها، والفرق بينها وبين الأسرة النواة التقليدية ، مؤكدين على أن الأسرة الزواجية تختلف كثيرًا عن الأسرة النواة، ولا تصلح لقيام حياة أسرية مستقرة .

ولن نتعرض للأنماط الأسرية الشاذة أو الأنماط الأسرية الحديثة، والتي ناقشنا مفاهيمها في الفصل الأول ، وانتهينا إلى أنها ليست أسرًا، ولا تصلح لقيام الحياة الأسرية المستقرة وقدمنا الأدلة على ذلك .

الأسرة النواة

الأسرة النواة أو الأسرة النووية Nuclear family [1] هي أبسط أشكال الأسرة التقليدية ، تنشأ بالزواج الشرعي ، وتكتمل بالإنجاب، حيث تتكون من الزوجين وأبنائهما غير المتزوجين، الذين يعيشون معهما في بيت واحد ومعيشة مشتركة .(Duvall & Miller, 1985:6)

والأسرة النواة نظام اجتماعي عالمي موجود في معظم المجتمعات القديمة والحديثة . فمن دراسة جورج موردك G. Murdock سنة 1949 على 250 مجتمعًا من المجتمعات الزراعية والبدائية تبين أن الأسرة النواة نظام اجتماعى سائد في هذه المجتمعات (Janosik & Green, 1992) .

بناء الأسرة النواة :

تتكون الأسرة النواة في البداية من مركزين أساسيين هما مركز الزوج الذي يشغله الرجل ، ومركز الزوجة الذي تشغله المرأة ، وتربطهما العلاقة الزواجية الشرعية التي تجعل حقوق الزوج واجبات على الزوجة ، وحقوق الزوجة واجبات على الزوج . فالحقوق والواجبات في الزواج متقابلة، ولا تكون إلا بالزواج وبين الزوجين معًا.

ويكتمل بناء الأسرة النواة بعد إنجاب الطفل الأول بثلاثة مراكز جديدة هي مركز الأب الذي يشغله الزوج ، ومركز الأم الذي تشغله الزوجة ، ومركز الابن أو الابنة الذي يشغله الوليد . وترتبط هذه المراكز بروابط الأبوة والأمومة والبنوة وهي روابط بيولوجيه أو روابط دم وقرابة ، تجعل واجبات الوالدين حقوقًا للأبناء وواجبات الأبناء حقوقًا للوالدين . فالواجبات والحقوق في الوالدية والبنوة متقابلة ولا تكون هذه الواجبات والحقوق إلا بالإنجاب وللوالدين والأبناء معًا.

وهذا يعني أن كل فرد في الأسرة النواة يشغل مركزين على الأقل . فالرجل يشغل مركزَيْ الزوج والأب ، والمرأة تشغل مركزَي الزوجة والأم ، والولد يشغل مركزى الابن والأخ ، والبنت تشغل مركزَي الابنة والأخت . وتُشغل هذه المراكز وفق الخصائص البيولوجية لكل فرد في الأسرة، فالذكور لهم مراكز مختلفة عن مراكز الإناث، لكنها مكملة لها ومرتبطة بها ولا توجد إلا بها . والشكل رقم 1-1 يبين المراكز التي تتكون منها أسرة نواة صغيرة الحجم تتكون من زوج وزوجة وطفلين .

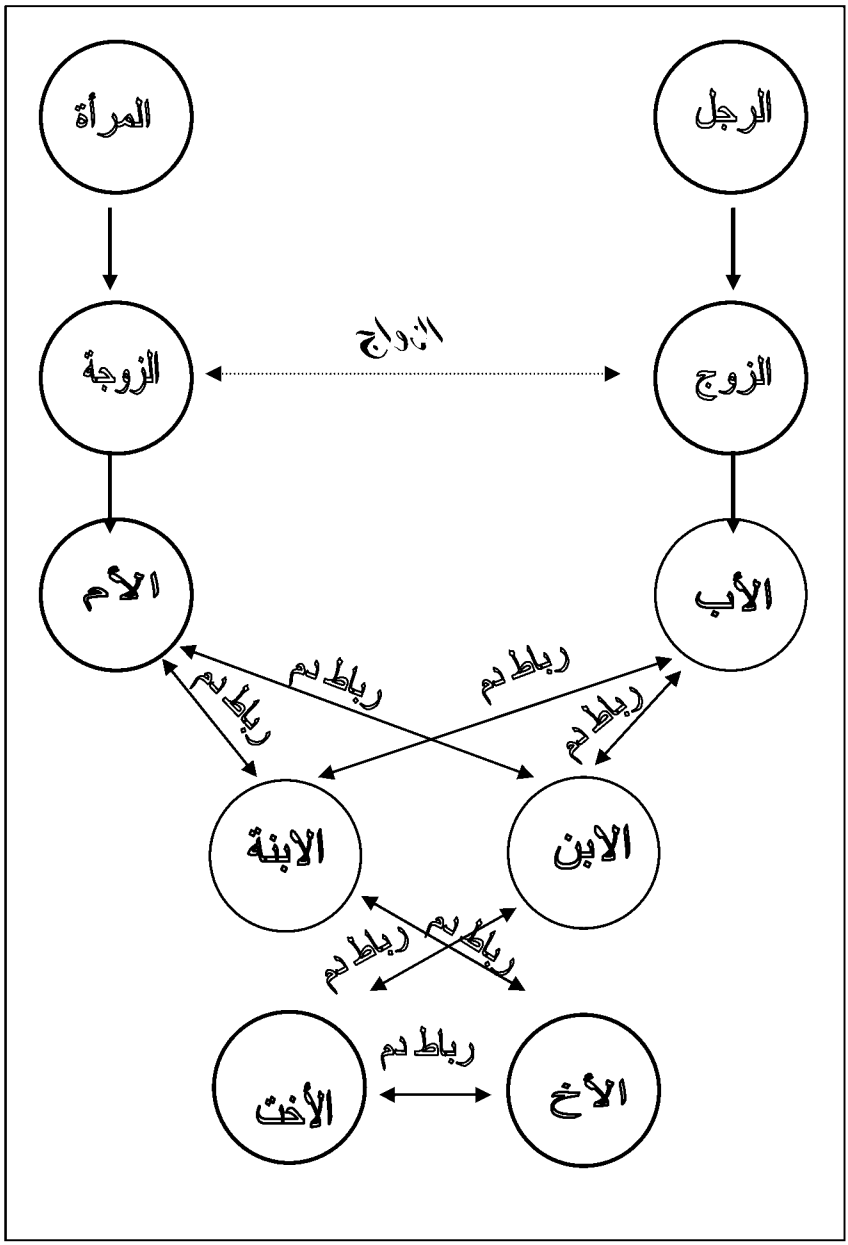

(الشكل رقم 1-1)

رسم تخطيطي يبين المراكز التي تتكون منها الأسرة النواة والروابط التي بين الأفراد شاغلي هذه المراكز.

أنماط الأسرة النواة :

تنقسم الأسرة النواة إلى أنماط أو أشكال فرعية عدة ، هي :

1- **أسرة نواة قياسية أو نموذجية Standard nuclear family**: تتكون من الزوجين وأبنائهما غير المتزوجين، الذين يعيشون معًا، ويعمل الزوج خارج البيت، وتعمل الزوجة ربة بيت، وكان هذا النمط سائدًا في المجتمعات العربية والإسلامية حتى منتصف القرن العشرين، حيث كانت معظم النساء متفرغات لرعاية البيت والأبناء والأزواج .

2- **أسرة نواة يعمل فيها الزوجان خارج البيت Dual Nuclear family** : تتكون من الزوجين وأبنائهما غير المتزوجين، ويعمل الزوجان خارج البيت ويشتركان معًا في الإنفاق على الأسرة ورعاية البيت والأبناء، وقد أخذ هذا النمط في الانتشار في المجتمعات العربية والإسلامية في النصف الثانى من القرن العشرين ، بعد خروج المرأة للعمل خارج البيت، ومشاركتها لزوجها في الإنفاق على الأسرة .

3- **أسرة نواة ثنائية الزوجة Dyadic Nuclear family** : تتكون من الزوج وزوجتيه وأبنائه غير المتزوجين ، ويعيشون جميعًا في بيت واحد ومعيشة مشتركة . وهذا النمط موجود في المجتمعات العربية والإسلامية ، حيث أباح الإسلام للرجل تعدد الزوجات حتى أربع زوجات عند الضرورة .

ومن الملاحظ أن هذا النمط من الأسر آخذ في الانحسار في هذه المجتمعات بعد انتشار التعليم وخروج المرأة للعمل ، ووعي كثير من الرجال بالحكمة من تعدد الزوجات ، وعدم رغبة كثير من النساء في أن يتزوج أزواجهن عليهن ، ورفضهن الحياة في بيت واحد مع ضُرِّة أو الزوجة الثانية . وأصبح على كل رجل يرغب في التعدد أن يسكن الزوجة الثانية في مسكن خاص ، وينشىء معها أسرة نواة جديدة غير أسرته النواة من زوجته الأولى .

4- **أسرة نواة أحادية الوالدية One-parent nuclear family**: تتكون من أحد الوالدين الأرمل أو المطلق وأبنائه غير المتزوجين[2]. وعادة يتكون هذا النمط من الأسر في المجتمعات العربية والإسلامية من الأم وأبنائها غير المتزوجين ، حيث لا يتزوج كثير من الأرامل والمطلقات، ويتفرغن لرعاية أطفالهن بعد وفاة الزوج أو بعد الطلاق، في حين لا يستطيع كثير من الرجال ذلك ويلجأون إلى الزواج ثانية بعد وفاة الزوجة أو بعد الطلاق ، ويكونون أسرًا نواة جديدة من الزوجة الثانية وأولادهم من الزوجة الأولى .

5- **أسرة نواة غير مكتملة البناء**: تتكون من الزوجين فقط، إما بسبب عدم الإنجاب أو بسبب زواج الأبناء، وتركهم لأسرهم الأصلية . وقد أخذ هذا النمط من الأسر النواة ينتشر في المجتمعات الإسلامية في العصر الحديث، بسبب بعض العوامل الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، التي أدت إلى انحسار الأسرة الممتدة وانتشار الأسرة النواة ، وشجعت الشباب على الاستقلال عن الأسرة الأصلية ، وتكوين أسر نواة خاصة بهم .

6- **أسرة نواة حاضنة Foster nuclear family**: تتكون من الزوجين وطفل محتضن أو أكثر ، وتسمى أسرة بديلة للطفل المحتضن أو الأطفال المحتضنين [3]، وتُعد الأسرة الحاضنة نظامًا اجتماعيًا مقبولا في المجتمعات العربية والإسلامية، حيث يحرم الإسلام التبنى ويشجع الحضانة العائلية التي تجعل الطفل يعيش في الأسرة الحاضنة دون أن ينسبَ إليها، ولا يحمل اسمها (مرسى ، 1985).

7- **الأسرة الأبوية والأسرة الأمومية** : قد تكون الأسرة النواة أسرة أبوية Patriarchal family تكون القوامة فيها للرجل، أو أسرة أمومية Matriarchal family تكون القوامة فيها للمرأة . وتدعو الأديان السماوية جميعها إلى أن تكون القوامة في الأسرة للرجل ، وتشير نتائج العديد من الدراسات إلى أن الأسرة الأبوية أفضل من الأسرة الأمومية في رعاية أفرادها وفي القيام بوظائفها (مرسى ، 2003).

لكن لا يعني هذا أن الأسرة الأمومية سيئة في القيام بوظائفها ، فقد تكون الأم

أفضل من الأب في القوامة، إذا كان الأب مهملًا أو منحرفًا أو غير قادر على القيام بمسئوليات القوامة .

ومعظم الأسر النواة في المجتمعات الإسلامية من النمط الأبوى، حيث جعل الإسلام القوامة في الأسرة المسلمة للرجل ، فقال تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ ﴾ [النساء: 34] ويندر أن تجد أسرة مسلمة أمومية، تكون المرأة مسئولة عن القوامة والإنفاق على الزوج والأبناء . فالأعراف والتقاليد في هذه المجتمعات لا تشجع على ذلك إلا في حال غياب الزوج أو وفاته أو عجزه، فتتحمل الزوجة مسئولية القوامة والإنفاق في الأسرة .

8- **أسرة التوجيه وأسرة الإنجاب** : وقد تكون الأسرة النواة أسرة توجيه Orientation nuclear family ، وهي الأسرة التي ينشأ فيها الإنسان ويتربى فيها، أو أسرة إنجاب Procreation nuclear family ، وهي الأسرة التي يُنشئها الإنسان لنفسه بالزواج والإنجاب . وهذا يعني أن كل إنسان ينشأ عادة في أسرة أصلية أو أسرة توجيه في كنف والديه ، وبعد أن يكبر ويرشد، يتزوج ويكوّن لنفسه أسرة الإنجاب، التي يعيش لها ويضحي من أجلها (Duvall & Miller,1985:7).

والعلاقة وثيقة بين أسرة الإنجاب وأسرة التوجيه في المجتمعات العربية والإسلامية من خلال بر الوالدين وصلة الرحم ، التي تلزم الأبناء برعاية والديهم في الكبر والتواصل معهم ، وعدم التخلى عنهم . قال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤ ﴾ [الإسراء: 23-24] .

الفرق بين الأسرة النواة المسلمة و غير المسلمة :

ومع أن الأسرة النواة نظام عالمي موجود في كل المجتمعات تقريبًا ، فإنها تختلف في فلسفتها ومعاييرها وغاياتها وتوزيع الأدوار فيها من مجتمع إلى آخر ، وفق العادات والتقاليد والمعتقدات السائدة في كل منهما . وإذا وازنا بين الأسرة النواة المسلمة والأسرة النواة غير المسلمة نجد أنهما تتفقان في النشأة بالزواج الشرعى، وفي التكوين من الزوجين وأبنائهما غير المتزوجين ، وفي علاقات المودة والمحبة بين أفرادها ، وفي وظيفتَيْ الإنجاب وتنشئة الأطفال ، فلا فرق بين أسرة نواة مسلمة وغير مسلمة في ذلك . أما الاختلاف بين الأسرتين فيظهر في جوانب عدة أساسية نلخصها في الآتى:

1- الأسرة النواة المسلمة نظام سماوي ثابت، تتحدد الواجبات والحقوق فيها بتشريعات من عند الله ، لا تتغير بتغير الزمان ولا المكان ، ولا يطرأ عليها الزيادة ولا النقصان ، لأنها من عند خبير حكيم . أما الأسرة النواة غير المسلمة فنظام اجتماعى، تتحدد الواجبات والحقوق فيها بتشريعات وضعية، تتغير بتغير الزمان والمكان وفق العادات والتقاليد السائدة في المجتمع .

2- يهدف أداء الواجبات في الأسرة النواة المسلمة إلى عبادة الله من خلال رعاية الآخرين في الأسرة، والتضحية من أجلهم ، فتتحقق السعادة لكل فرد فيها في الدنيا والآخرة . أما أداء الواجبات في الأسرة غير المسلمة، فيهدف إلى رعاية الأسرة وتحقيق السعادة لأفرادها في الدنيا فقط.

3- الأسرة النواة المسلمة " أسرة أبوية " القوامة فيها للرجل، فهو المسئول عن إنشاء الأسرة والإنفاق عليها ورعايتها وحمايتها . قال تعالى: " ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [النساء: 34]. أما القوامة في الأسرة النواة غير المسلمة فقد تكون للزوج الأكفأ أو للزوجين معًا، أو لا تكون لأي منهما سلطة على الآخر وفق المعتقدات السائدة في المجتمع .

4- وظائف الأسرة النواة المسلمة ثابتة، ولا ينطبق عليها قانون تناقص وظائف الأسرة " في المجتمعات الغربية، الذي أشار إليه إميل دور كايم E. Durkhiem عالم الاجتماع الفرنسي، الذي يرى أن وظائف الأسرة تطورت من الأوسع فالواسع ثم الضيق فالأضيق " وأيده كثير من علماء الاجتماع العائلي في أوربا وأمريكا ، وأشاروا إلى أن الأسرة في هذه المجتمعات قد تخلت عن معظم وظائفها (Smith, 1995)، أما الأسرة النواة المسلمة فلم تتغير وظائفها بتغير الزمان أو المكان . فالزوجة مسئولة عن رعاية زوجها ، والزوج مسئول عن رعاية زوجته ، والوالدان مسئولان عن رعاية أبنائهما ، والأبناء مسئولون عن رعاية والديهم في الماضى والحاضر والمستقبل . « **فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته** » كما قال رسول الله ﷺ، ولن تتغير أو تتقلص وظائف الأسرة المسلمة .

5- الأسرة النواة المسلمة ليست منعزلة ولا مستقلة عن أسر الأقارب؛ لأن رباط الدم في الأسرة النواة المسلمة رباط أساسى ، وصلة الرحم من مكوناتها التي لا تنفك منها . فقد قال رسول الله ﷺ : « **يا معشر المسلمين ، اتقوا الله وصلوا أرحامكم فإن ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم** » (رواه الترمذي) . فالمسلم إذا كوَّن له أسرة نواة لا يستقل عن أسرة والديه ، ولا ينعزل عن أقاربه ، ويأثم لو قطعهم أو استقل عنهم .

أما الأسرة النواة غير المسلمة فقد أشار كثير من الباحثين إلى أنها في عزلة في المجتمعات الأوربية والأمريكية الحديثة، التي تشجع الفردية والمادية والنفعية ، وتدعم الاستقلالية والحقوق الفردية ، ولا تحث على التضحية من أجل الآخرين في الأسرة (Ingoldsly & Smith, 1995) . وفي ذلك أشار بارسونز عالم الاجتماع العائلي الأمريكي إلى أن الأسرة النواة الأمريكية أسرة منعزلة وفق متطلبات المجتمع الأمريكي ، الذي يحترم الحرية ويشجع الفردية ، ويقدم مصلحة الفرد على مصلحة الجماعة، مما جعل انعزال الأسرة الأمريكية وانفكاكها عن شبكة القرابة مطلبًا أساسيًّا للحياةِ العصرية في المجتمعات الغربية ، التي تتعرض فيها الأسرة للحراك الجغرافي والانتقال وراءَ العملِ فلا تتقيد بقرابة أو روابط أخرى .(Parsons, 1968)

الأسرة الممتدة

الأسرة الممتدة Extended family[4] هي النمط الثانى في الأسرة التقليدية، تنشأ بالزواج والإنجاب كالأسرة النواة ، وتكتمل بزواج الأبناء وإنجابهم الأحفاد الذين يعيشون مع الأجداد والآباء في معيشة واحدة، وتحت سقف واحد في بيت العائلة .

بناء الأسرة الممتدة :

وتنشأ الأسرة الممتدة في البداية أسرة نواة تقليدية، تضم الزوجين وأبناءهما في معيشة مشتركة وفي بيت واحد ، ثم تمتد رأسيًا لتشمل الأجداد والأحفاد وأفقيًا لتشمل الأعمام والعمات والأخوال والخالات وغيرهم من الأقارب للأب أو الأم . وإذا كانت الأسرة النواة تضم جيلين: جيل الآباء، وجيل الأبناء، فإنَّ الأسرةَ الممتدة تضم ثلاثة أجيال : جيل الأجداد، وجيل الآباء، وجيل الأبناء أو الأحفاد .(Duvall & Miller, 1985:7)

والأسرة الممتدة كالأسرةِ النواة تتكون من مراكز : الزوج والزوجة والأب والأم والأخ والأخت وتزيدُ عليها بمراكز : الجد والجدة والحفيد والحفيدة ، والعم والعمة ، والخال والخالة ، وزوجة الابن وزوج الابنة ، وزوجة العم وزوج العمة وغيرها من المراكز الاجتماعية التي يزداد عددها وفق امتداد الأسرة رأسيًا أو أفقيًا.

وحجم الأسرة الممتدة عادة كبير والعلاقات فيها متشابكة ، والمراكز الاجتماعية متعددة ، حيث يشغل كل فرد فيها ثلاثة مراكز أو أكثر ويقوم بثلاثة أدوار على الأقل . فالرجل الكبير يشغل مراكز الجد والأب والزوج ، والابن يشغل مراكز الابن والزوج والأب وهكذا . مما يجعلها جماعة اجتماعية معقدة البناء والعلاقات بدرجة أكبر من الأسرة النواة .

والشكل رقم 1-2 يبين بناء الأسرة الممتدة من ناحية الابنة ، والشكل رقم 1-3 يبين بناء الأسرة الممتدة من ناحية الابن . ونجد فيهما المراكز التي يشغلها الأفراد في الأسرة التي تتكون من ثلاثة أجيال .

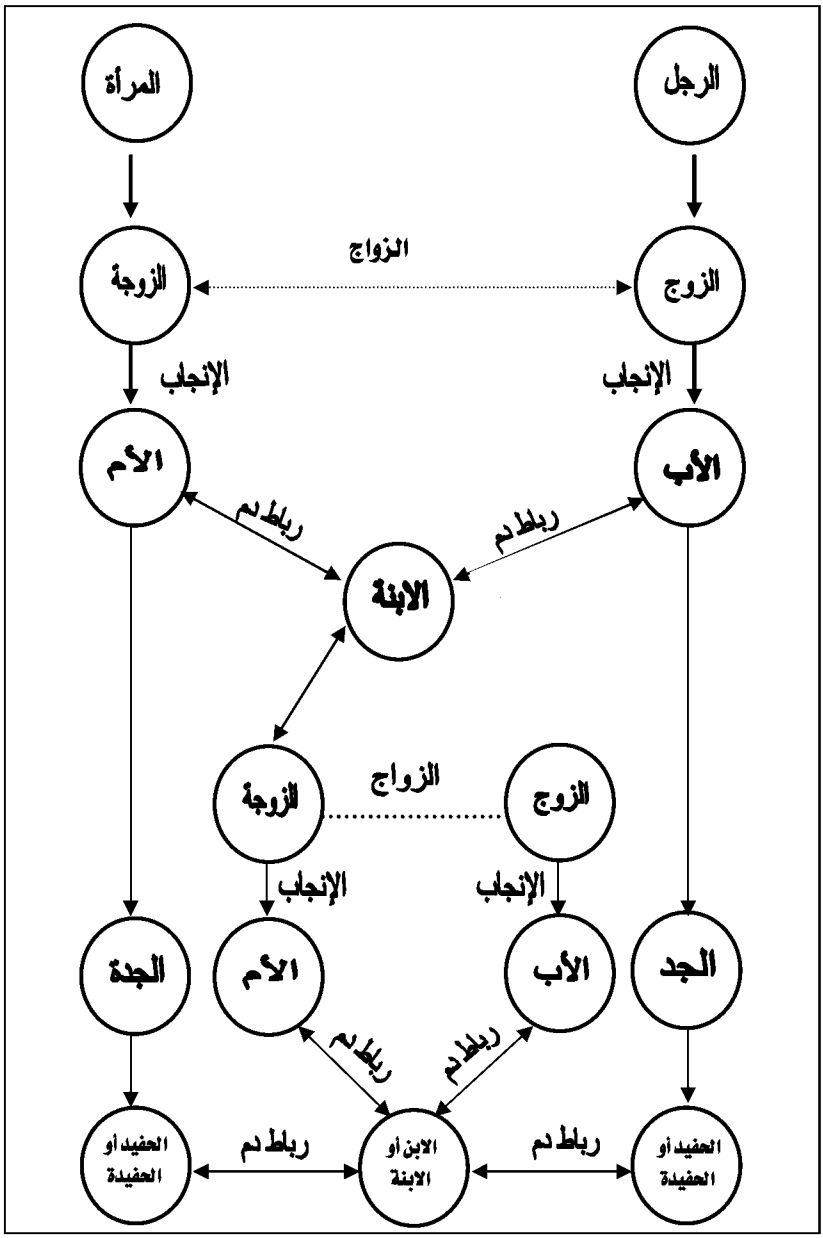

(الشكل رقم 1-2)

رسم تخطيطي للمراكز الاجتماعية في أسرة ممتدة من ناحية الابنة والروابط بينها.

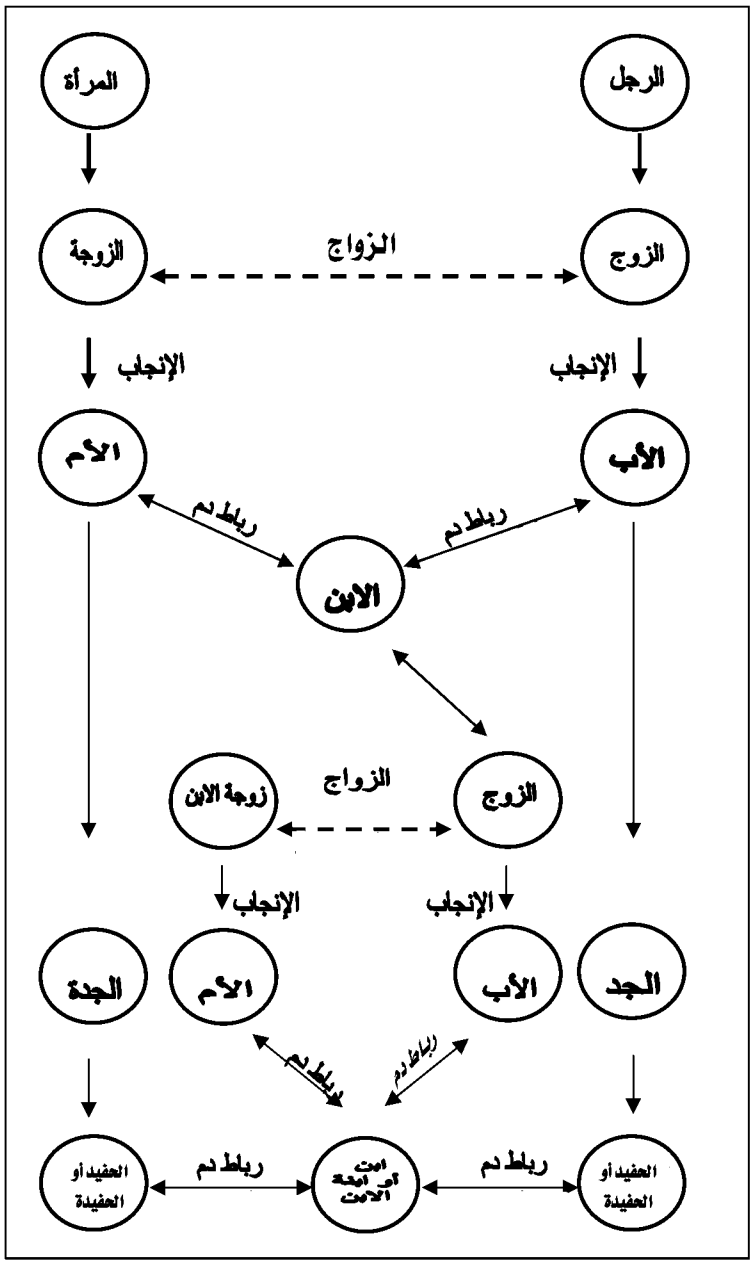

(الشكل رقم 1-3)

رسم تخطيطي للمراكز الاجتماعية في أسرة ممتدة من ناحية الابن والروابط بينها.

خصائص الأسرة الممتدة :

تقوم الأسرة الممتدة بالوظائف نفسها التي تقوم بها الأسرة النواة . وقد كانت هي النظام الأسرى الأكثر انتشارًا في المجتمعات العربية والإسلامية في الماضى وإلى عهد قريب؛ حيث كانت العادات والتقاليد والأعراف والمعتقدات الدينية تشجع على أن يعيش الأبناء بعد الزواج مع والديهم في بيت العائلة ، ولاسيما إذا كانوا يعملون في مهن آبائهم في الزراعة أو التجارة أو الصناعة ، ويستمدون مكانتهم الاجتماعية من انتماءاتهم العائلية وارتباطهم بأسرهم الممتدة ، فلا يفكرون في الاستقلال عنها بعد الزواج .

وتقوم الحياة في الأسرةِ الممتدة على اجتهاد الأبناء في تحقيق طموحات الآباء والأجداد أكثر من تحقيق طموحاتهم الشخصية ، وتقديم مصلحة الأهل على مصالحهم الفردية، وتنمية ممتلكات الأسرة أكثر من تنمية ممتلكاتهم الخاصة .

وكانت الأسرة الممتدة في الماضى وحدة إنتاجية يمتلك فيها الجد ـ رب الأسرة ـ الأرض أو المصنع أو التجارة ، ويعمل أبناؤه معه ، فيتعلمون صنعته ويمارسون نشاطه التجارى والصناعى والزراعى ، الذي يتوارثونه جيلًا بعدَ جيلٍ . أما في الحاضرِ فلم تعد الأسرة الممتدة وحدة إنتاجية، ولم تعد المهن تورث في الأسرة بعد التطورات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمعات الحديثة ، وأصبح كل شاب يتعلم المهنة التي تناسب قدراته وميوله واستعداداته ، وضعفت السلطة التي كانت للوالدين على الأبناء في العمل وكسب الرزق ، وغدا كل شخص يبحث عن العمل الذي يناسبه، ويتنقل وراءه في أي مكان دون تدخل من والديه، فانحسرت سلطة الأسرة الممتدة، وانتشرت الأسرة النواة في المجتمعات الحديثة .

وتعرضت الأسرة الممتدة في المجتمعات العربية والإسلامية الحديثة للانحسار لأسباب أخرى كثيرة، منها انتشار التعليم والتصنيع ، وخروج المرأة للعمل ، وظهور المدن الكبيرة، وزيادة تأثير الثقافة الغربية على الكثير من العرب والمسلمين ،

وانتقال الشباب وراء العمل، مما شجعهم على تكوين أسر نواة يسهل التنقل بها من بلد إلى آخر.

لكن مع انحسارِ الأسرة الممتدة عندنا فلا تزال الأعراف والعادات والتقاليد والمعتقدات الدينية تدفع الشباب إلى التواصل مع أسرهم الأصلية من خلال السكن القريب منها ، وتقديم المساعدات للوالدين والأقارب ، وتبادل الزيارات والمكالمات الهاتفية واللقاءات الأسبوعية ، وفي المناسبات والأعياد ، وغيرها من الأنشطة التي تربط أسرة الابن بأسرة والديه ، ويحقق مفهوم الأسرة الممتدة المعدلة .

أنماط الأسرة الممتدة :

تنقسم الأسرة الممتدة إلى أنماط أو أشكال عدة نلخصها في الآتي:

1- **أسرة ممتدة نموذجية Standard extended family**:وهي أسرة تقليدية تتكون من الجدين وأبنائهما وأحفادهما ، الذين يعيشون في معيشة مشتركة وفي بيت واحد . وتكون السلطة فيها للجد ، وتقوم على تقسيم العمل وفق الجنس، ولا يمنع هذا من خروج المرأة فيها للدراسة والعمل خارج البيت .

2- **أسرة ممتدة أحادية الجد One grand parent extended family**: وهي أسرة ممتدة تُوفّي فيها أحدُ الجدين ، وأصبحت تتكون من الجد الآخر وأبنائه وزوجاتهم وأحفاده ، الذين يعيشون في معيشة مشتركة وفي بيت واحد ، وعادة تكون القوامة فيها للابن الأكبر أو الجد أو الجدة التي تعيشُ مع الأسرةِ ، وتقوم الحياة فيها على تقسيم العمل وفق الجنس .

3- **أسرة ممتدة متحدة Joint extended family**: وهي أسرة ممتدة أفقيًا بعد وفاة الجدين ، وتتكون من أخين أو أكثر وزوجاتهم وأبنائهم ، ويعيشون في معيشة مشتركة وفي بيت واحد ، وتكون القوامة فيها للأخ الكبير ، وتسمى " أسرة مركبة" لأنها تتكون من أسرتين نوويتين أو أكثر بينها روابط الدم وصلة الرحم . ويطلق عليها أحيانا " أسرة متحدة بيولوجيًا Consanguinal composite family .

4- أسرة ممتدة معدلة **Modified extended family**: وهي أسرة ممتدة رأسيًا أو أفقيًا، وتتكون من أسرتين نوويتين (أو أكثر) إحداهما أسرة التوجيه، التي تعيش مع أسرة فرعية أو أكثر من أسر أبنائها في منطقة سكنية واحدة أو في مناطق متجاورة ، وتعيشُ كلّ أسرة في معيشة ومسكن مستقل، لكنها تتواصل مع الأسرة الأصلية من خلال الزيارات اليومية والاتصالات الهاتفية واللقاءات الأسرية في الأعياد والمناسبات وأيام الجمع والعطلات الرسمية ، بحيث يتحقق لقاء الأبناء والآباء ، ويتردد الأحفاد على الجد والجدة في أوقات كثيرة ، ويحصل الآباء على رعاية أبنائهم ومساندتهم لهم عند الحاجة وفي أي وقت بالليل والنهار ، وكأنهم يعيشون معًا، وقد يتبادلون تناول الطعام معًا في أوقات كثيرة.

ويلقى نظام الأسرة الممتدة المعدلة قبولًا في المجتمعات الإسلامية الحديثة لاسيما المجتمعات الخليجية ، لأنه يحقق رغبة الأبناء في بناء الأسرة النواة مع زوجاتهم وأبنائهم ، وفي الوقت نفسه يتواصلون مع أسرهم الأصلية ، ويبرون والديهم، ويصلون أرحامهم . ويصبح لكل شاب أسرتين : أسرة التوجيه التي نشأ فيها، وأسرة الإنجاب التي كونها لنفسه مع زوجته وأولاده . وتظل الصلة قوية بين الأسرتين وكأنهما أسرة واحدة ، بفضل القرب المكاني ووسائل الاتصال الحديثة السلكية واللاسلكية والسيارات واللقاءات في بيت العائلة . وهذا يعني أن الأسرة الممتدة رغم انحسارها، فلا يزال لها شأن عظيم في حياة المسلم، الذي يعبد الله في بر والديه وصلة الأرحام وتقوية روابط الدم.

قال تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب: 6] . فالمسلم لا ينعزل بأسرته النواة عن أسرته الأصلية ولا أسر أقاربه مهما بعدت المسافات فأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض، وهذا يؤكد أن ما ينطبق على الأسرة في أمريكا وفق نظرية الأسرة النواة المنعزلة عند بارسونز Parsons لا ينطبق على الأسرة المسلمة بأي حال من الأحوال.

الأسرة الزواجية

الأسرة الزواجية Conjugal family[5] أحد أنماط الأسر الحديثة ، تتكون من الزوجين وأبنائهما القصر ، الذين يعيشون معًا في معيشة مشتركة وفي منزل واحد ، وتسمى أسرة فردية لأنها جماعة مكتفية بذاتها ، ومستقلة عن الأقارب . وتسمى أيضًا أسرة نفسية Psychological family لأنها تركز على حاجات الزوجين وعلاقتهما وسعادتهما أكثر من تركيزها على الأطفال والعلاقة الوالدية . فالأسرة الزواجية للزوجين وليست للإنجاب (Goode, 1968) .

وتقوم الأسرة الزواجية على أساس أن الزواج مسألة فردية ، لا دخل للمجتمع ولا للدين فيها . فكلُّ فرد حرٌّ في تحديد متى يتزوج ؟ وممن يتزوج ؟ وكيف يتزوج ؟ وأين يعيش حياته الزوجية ؟ ومتى يستمر في الزواج ؟ أو يتوقف عنه وينفصل عن الزوج الآخر . فهذه القرارات من سلطة الرجل والمرأة ، وليست من سلطة الدولة أو الدين أو الأسرة.

وتهدف الأسرة الزواجية إلى إسعاد الزوجين ، وإشباع حاجاتهما الجسمية والنفسية والاجتماعية ، وتنمية الحب والمودة بينهما ، وتقوية علاقتهما الزواجية ، حتى يجد كل منهما الأمن والاستقرار النفسى عند الآخر، مع المحافظة على حريته الفردية وحصوله على حقوقه الشخصية ، دون التزامات للأقارب أو غيرهم . فالزوجان هما محور الحياة الأسرية في الأسرة الزواجية التي وجدت من أجل إسعادهما .

وقد احتضنت كثير من المجتمعات الغربية " نظام الأسرة الزواجية " كنظام بديل للأسرة النواة التقليدية التي لم تعد ـ من وجهة نظر العديد من علماء الاجتماع الأسرى ـ نظامًا مناسبًا للحياة العصرية ، بعد خروج المرأة إلى العمل ، وتناقص وظائف الأسرة ، والتخلي عن تقسيم العمل وفق الجنس ، وضعف سلطة الوالدين على الأبناء ، والمساواة بين الرجل والمرأة وتقلص الروابط القرابية ، وانصراف الشباب عن الزواج التقليدى ، وسعيهم إلى الاستقلال عن أسرهم الأصلية ، ورغبتهم في ممارسة الحرية الشخصية في الزواج ، وإشباع حاجاتهم الفردية بالطريقة

التي يريدونها ويتصورون أنها تسعدهم . مما دعا إلى نظام أسرى جديد أو تعديل النظام الأسرى القائم إلى نظام حديث، يلبي مطالب الحياة العصرية وما طرأ عليها من تغيير ، فجاءت فكرة الأسرة الزواجية التي تبنت مبادئ الفردية والنفعية وحقوق الفرد وحريته الشخصية في قرارات الزواج وبناء الأسرة وغيرها من المبادئ، التي تقوم عليها الحياة في الثقافة الغربية المعاصرة .

وتؤكد الحياة الأسرية في الأسرة الزواجية على رباط الزواج أكثر من روابط الدم والقرابة ، وعلى إشباع حاجات الزوجين أكثر من الإنجاب وتربية الأبناء ، لأن الزواج لمصلحة الزوجين ، وليس لمصلحة المجتمع ، وفيه تقدم حقوق الفرد على حقوق الجماعة ، فلا يضحي أي من الزوجين بمصلحته الفردية من أجل الزوج الآخر ولا من أجل الأبناء . وهذا ما جعل الأسرة الزواجية نظامًا أسريًا جديدًا لا يصطدم بحقوق الفرد، ولا يربط الزوجين بالتزام أو واجبات تحد من حريتهما الشخصية ، فالأسرة للزوجين وبهما ، والاستمرار فيها أو الانفكاك عنها مرهون بإرادتهما ومصلحة كل منهما.

الفرق بين الأسرة الزواجية والأسرة النواة :

يستخدم بعض الباحثين العرب " الأسرة الزواجية " بمعنى الأسرة النواة ، وكأنهما مصطلحان مترادفان ، في حين يستخدمها آخرون على أنها نظام حديث فيه تعديل للأسرة النواة التقليدية أو تطوير لها ، (الجرداوى ، 1986 وعفيفي ، 1996، وبيرى ، 1998).

لكن الموازنة بين النظامين تشيرُ إلى أنهما لا يتشابهان إلا في كون كل منهما جماعة صغيرة من الزوجين وأبنائهما، الذين يعيشون معًا وفي مكان واحد ، أما أوجه الاختلاف بينهما، فكثيرة نلمسها في الأهداف والعلاقات وتوزيع المسئوليات وأسلوب الحياة الأسرية . وأهم هذه الخلافات هي كالآتي :

أ- تركز الأسرة الزواجية على العلاقة الزواجية Couple oriented activities أكثر من تركيزها على رعاية الأطفالChild oriented activities ، في حين تركز الأسرة النواة على الأمرين معًا ، فتحرص على تنمية العلاقة الزواجية ورعاية

الأطفال معًا.

ب- الزواج في الأسرةِ الزواجية غاية وليس وسيلة . فالرجل والمرأة يتزوجان من أجل الزواج، الذي يشبع حاجاتهما معًا ، وينمي علاقة المودة والمحبة بينهما . أما الزواج في الأسرة النواة فوسيلة وليس غاية ، حيث يتزوج الرجل والمرأة من أجل بناء الأسرة، التي يجدان فيها الإشباع لحاجاتهما وتنشئة الأطفال .

ج- تقوم الأسرة الزواجية على رباط الزواج أو العلاقة بين الزوج والزوجة Husband-wife relationship ولا تقوم على علاقة الدم Blood relationship حيث تنشأ الأسرة بالزواج من أجل الزواج والاستمتاع بالزوج الآخر . في حين تقوم الأسرة النواة على العلاقة الزواجية ورباط الدم ، فهي تنشأ بالزواج وتكتمل بالإنجاب .

د- الزواج في الأسرة الزواجية مسألة فردية لا دخل للوالدين ولا المجتمع ولا الدين فيها ، أما الزواج في الأسرة النواة فمسألة اجتماعية أو دينية تنظمها تشريعات اجتماعية أو دينية .

هـ- لا سلطة للزوج على الزوجة ولا سلطة للوالدين على الأبناء في الأسرة الزواجية ، أما في الأسرة النواة فإن القوامة للرجل في الأسرة الأبوية وللمرأة في الأسرة الأمومية .

و- لا يوجد تقسيم للعمل وفق الجنس في الأسرة الزواجية . فالزوجان يعملان معًا خارج البيت وفي البيت وفي رعاية الأبناء ، ومسئولياتهما متساوية في الأنفاق والأعمال المنزلية ، أما في الأسرة النواة فإن الزوجين مسئولان معًا عن رعاية الأسرة لكن مسئوليات الزوج أكبر من مسئوليات الزوجة في الإنفاق والقوامة، ومسئوليات الزوجة أكبر من مسئوليات الزوج في الرعاية المنزلية ورعاية الأطفال . وقد أدى هذا التوزيع إلى زيادة مسئوليات الرجل في العمل خارج البيت وزيادة مسئوليات المرأة في العمل في داخل البيت ، أو قيام الرجل بالأدوار الوسيلية التي تمثل الأسرة في الخارج ، وقيام المرأة بالأدوار التعبيرية التي تحافظ على تماسك الأسرة وترابط أفرادها .

ز- تقوم " الأسرة الزواجية " على فلسفة ومبادئ تناسب الحياة في الثقافة الغربية، ولا تناسب الحياة في الثقافات الأخرى ، أما " الأسرة النواة التقليدية " فنظام عالمي يناسب الحياة في معظم المجتمعات القديمة والحديثة .

ح- الفلسفة التي تقوم عليها " الأسرة الزواجية " لا تصلح لقيام حياة أسرية مستقرة لأنها تشجع على الأنانية والفردية والاستقلالية ، وتقدِّم حقوق الفرد على حقوق الجماعة ، وتراعى حقوق الزواجية ولا تراعي حقوق الوالدية وروابط الدم ، مما يجعلها مهيأة للانفصال والطلاق .

أما الفلسفة التي تقوم عليها الأسرة النواة فتقوم على تحقيق التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ، وتراعي حقوق الزوجية والوالدية وروابط الدم والقرابة ، وتشجع على التضحية المتبادلة وغيرها من القيم الاجتماعية التي تدعو للمحبةِ والترابط والتماسك في الأسرة .

* * *

الهوامش

1- قُدِّم تعريف الأسرة النواة في بحثٍ إلى موسوعةِ الأسرة التي تصدرها اللجنة الاستشارية العليا لاستكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بدولة الكويت، ونشر بالجزء الأول سنة 2003، وقد تم إدخال بعض التعديلات عليه لكي يناسب موضعه في الكتاب .

2- لم نذكر الأسرة أحادية الوالدية " من امرأة غير متزوجة وأطفالها، لأنها وإن كانت موجودة بكثرة في المجتمعات الغربية، فإنها غير مقبولة في المجتمعات الإسلامية التي لا تسمح بوجود هذا النوع من الأسر .

3- لا توجد أسر نواة من الزوجين وطفل أو أكثر بالتبنى في المجتمعات المسلمة لأنَّ الإسلام حرم التبني تحريمًا قطعيًا، وقد يوجد التبني في بعض الأسر غير المسلمة . لمزيد من المعلومات عن الحضانة العائلية والتبني يرجع إلى:

مرسى ، كمال إبراهيم (1985) الحضانة العائلية : فلسفتها ونظامها في دولة الكويت . الكويت : وزارة الشئون الاجتماعية والعمل.

4- قُدِّم تعريف الأسرة الممتدة في بحث إلى موسوعةِ الأسرةِ التي تصدرها اللجنة الاستشارية العليا لاستكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بدولة الكويت، ونشر بالجزء الأول سنة 2003، وقد تم إدخال بعض التعديلات ليناسب موضعه في الكتابِ.

وقُدِّم تعريف الأسرة الزواجية في بحث إلى موسوعة الأسرة التي تصدرها اللجنة الاستشارية العليا لاستكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بدولة الكويت، ونشر بالجزء الأول سنة 2003 وقد تم إدخال بعض التعديلات ليناسب موضعه في الكتاب .

* * *